

الماركسية والانتفاضة

فلاديمير لينين

من شر التشويهات التي تقترفها الأحزاب " الاشتراكية " السائدة، بحق الماركسية، وقد يكون أوسع التشويهات انتشاراً، هو الكذب الانتهازي الزاعم أن تحضير الانتفاضة، وبوجه عام، اعتبار الانتفاضة فناً، إنما هو ضرب من " البلاغية " [1].

إن زعيم الانتهازية، برنشتين، قد اكتسب شهرة سيئة باتهامه الماركسية بالبلاغية. وفي الأساس نري أن الانتهازيين الحاليين الذين يزعمون بتهمة البلاغية لا يجددون ولا " يغيثون " في شيء " أفكار " برنشتين الهزيلة.

اتهام الماركسية بالبلاغية لأنهم يعتبرون الانتفاضة فناً ! فهل يمكن أن يكون ثمة تشويه للحقيقية أشد وضوحاً ! فما من ماركسي ينكر أن ماركس نفسه قد أبدى رأيه حول هذه المسألة بأكثر ما يكون من الدقة والوضوح والجزم، مسمياً الانتفاضة بالضبط فناً، قائلاً أنه ينبغي اعتبارها فناً، وأنة ينبغي إحراز نجاح أول، والمضي فيما بعد من نجاح إلي نجاح، دون وقف الهجوم علي العدو، ومع استغلال بلبته،..... إلخ، إلخ..

و في سبيل النجاح، ينبغي للانتفاضة ألا تعتمد علي مؤامرة أو علي حزب، بل علي الطبقة الطليعية. تلك هي النقطة الأولى. النقطة الثانية. ينبغي للانتفاضة أن تعتمد علي انعطاف حاسم في تاريخ الثورة الصاعدة، حين يبلغ نشاط الصفوف المتقدمة من الشعب ذروته، حين تبلغ الترددات في صفوف الأعداء وفي صفوف أصدقاء الثورة الضعفاء، الحائرين غير الحازمين، أشدها. تلك هي النقطة الثالثة. إن الماركسية لتمتاز عن البلاغية لأنها تصوغ هذه الشروط الثلاثة بالذات عند طرحها مسألة الانتفاضة.

و لكن إذا توافرت هذه الشروط، كان رفض اعتبار الانتفاضة فناً بمثابة خيانة للماركسية، بمثابة خيانة للثورة.

ولكي نثبت أن الفترة الحالية هي بالضبط الفترة التي يجب فيها علي الحزب بالضرورة أن يعترف بأن مجري الأحداث الموضوعية قد طرح الانتفاضة في جدول الأعمال وأن يعتبر الانتفاضة فناً، لكي نثبت هذا قد يكون من الأحسن استخدام طريقة المقارنة ورسم مقابلة بين يومي 3 و 4 تموز (يوليو) وأيام أيلول (سبتمبر).

في 3 و 4 تموز، كان من الممكن والصائب وضع المسألة علي النحو التالي : من الأصح استلام الحكم، وإلا اتهمنا أعدائنا حتماً بالانتفاضة وقمعونا كعصاه. ومع ذلك لم يكن من الممكن القول بضرورة استلام الحكم حينذاك، لأن الشروط الموضوعية لانتصار الانتفاضة لم تكن متوافرة حينذاك :

1 (لم تكن معنا الطبقة التي هي طليعة الثورة. لم تكن معنا أغلبية العمال والجنود في العاصمتين. أما الآن فنحوزها في كل من سوفييتي العاصمتين. إن هذه الأغلبية قد ولدتها فقط حوادث تموز وآب (يوليو وأغسطس)، عن طريق تجربة أعمال " القمع " المسلط علي البلاشفة، وكذلك عن طريق تجربة فتنة كورنيلوف.

2 (لم يكن التهوض الثوري حينذاك قد شمل الشعب بأسرة. أما الآن، فقد تم ذلك، بعد فتنة كورنيلوف. والدليل علي ذلك الملحقات، واستيلاء السوفييتات علي الحكم في الكثير من الأماكن.

3 (لم يكن حينذاك أعداؤنا والبرجوازية الصغيرة الحائرة قد أبدوا ترددات ذات مدي سياسي عام خطير. أما اليوم، فإن هذه الترددات كبيرة جدا : إن عدونا الرئيسي، الإمبريالية المتحالفة والعالمية – لأن الحلفاء هم في رأس الإمبريالية العالمية –، يتردد بين الحرب حتى النصر وبين صلح منفرد ضد روسيا، وأصحابنا الديموقراطيين البرجوازيين الصغار، الذين تبين أنهم فقدوا الأكثرية في صفوف الشعب، هم فريسة ترددات هائلة، وقد تخلوا عن الكتلة، أي عن الائتلاف مع الكاديت.

4 (ولهذا، لو أن الانتفاضة شبت في 3 و 4 تموز لكانت خطأ : فلا ماديا، ولا سياسياً، كان بوسعنا أن نحفظ بالحكم، رغم أن بتروغراد كانت في أيدينا أحياناً، لأن عمالنا وجنودنا ما كانوا ليقاثلون ويستشهدون في ذلك الحين بغية امتلاك المدينة : فما كانوا في مثل هذه الحالة من " الضراوة " كما هي حالتهم اليوم ؛ وما كان يغلي في صدورهم الحقد الضاري نفسه سواء علي كيرنسكي واضرابه، أو علي تسيريتيلي وتشيرنوف واضرابهما، وما كان مناصلونا قد تمرسوا بتجربة القمع المسلط علي البلاشفة بمساهمة الاشتراكيين . الثوريين والمناشفة.

و سياسياً، ما كان بوسعنا أن نحفظ بالحكم في 3 و 4 تموز، لأنه كان بإمكان الجيش والملحقات أن تزحف علي بتروغراد ولكانت زحفت علي بتروغراد، قبل فتنة كورنيلوف.

أما الآن، فاللوحه مغايرة تماماً.

فمعنا أغلبية الطبقة، طليعة الثورة، طليعة الشعب، التي تستطيع اجتذاب الجماهير.

معنا أغلبية الشعب، لأن استقالة تشيرنوف هي أبرز وأوضح دليل، وإن لم تكن الدليل الوحيد، علي أن الفلاحين لن يتلقوا الأرض من كتلة الاشتراكيين . الثوريين (ولامن الاشتراكيين . الثوريين أنفسهم). والحال، علي هذا يتوقف طابع الثورة الشعبي الشامل.

نحن الآن بأفضلية حزب يعرف تمام المعرفة السبيل الذي ينبغي سلوكه حين تبدو ترددات لا سابق لها في صفوف الإمبريالية بكليتها وكتلة المناشفة والاشتراكيين . الثوريين بأسرها.

إن انتصارنا مضمون، لأن الشعب علي قيد شعرة من اليأس. ونحن دللنا الشهب بأسره علي المخرج الصحيح إذ بينا له " في أيام فتنة كورنيلوف " أهمية قيادتنا، ثم عرضنا علي الكتلويين إجراء مساومة، فرفضوا عرضنا، ولكنهم ما يزالون يترددون.

و إنه لمن الخطأ الاعتقاد أن عرض المساومة لم يرفض حتى الآن، وأن " الاجتماع الديمقراطي " [2] لا يزال في وسعه أن يقبله.

لقد عرضت المساومة من حزب لأحزاب، ولم يكن بالامكان عرضها علي نحو آخر. فرفضتها الأحزاب. وليس الاجتماع الديمقراطي سوي اجتماع، لا أكثر. وينبغي ألا ننسي شيئاً واحداً : هو أن أغلبية الشعب الثوري، الفلاحين الفقراء الحانقين، غير ممثلة في هذا الاجتماع. إنه اجتماع أقلية الشعب ؛ تلك حقيقة بديهية لا يجوز نسيانها. فإذا اعتبرنا الاجتماع الديمقراطي برلماناً، اقترفنا شر خطأ، ووقعنا في شر بلاهة برلمانية ؛ إذ انه لا يقرر أي شيء، حتى ولو أعلن نفسه برلمان الثورة الدائم ذا السيادة : فنقرر الأمور لا يتوقف عليه، بل علي أحياء العمال في بتروغراد وموسكو.

إن جميع المقدمات الموضوعية لنجاح الانتفاضة متوافرة الآن، فلدينا الأفضليات الاستثنائية الناجمة عن وضع لا يقضي فيه غير انتصارنا في الانتفاضة علي الترددات التي عذبت الشعب، والتي هي أشد الأشياء تعذيباً في العالم، ولا يعطي فيه غير انتصارنا في الانتفاضة الأرض للفلاحين علي الفور، ولا يحبط فيه غير انتصارنا نحن في الانتفاضة مهزلة الصلح المنفرد الموجه ضد الثورة، إن انتصارنا سيحبط هذه المهزلة بعرضه علنا صلحاً أكمل، وأعدل، وأسرع، صلحاً في صالح الثورة.

و أخيراً، إن حزينا وحدة يستطيع إنقاذ بتروغراد بعد أن ينتصر في الانتفاضة ؛ لأنه إذا رفض عرض الصلح الذي نتقدم به وإذا لم نحصل حتى علي هدنة، غدونا نحن من " أنصار الدفاع " وسرنا طليعة أحزاب الحرب ؛ وأمسينا أشد أحزاب الحرب ضراوة، وخضنا الحرب بصورة ثورية حقاً، وانتزعنا كل الخبز وكل الجزم من الرأسماليين، وتركنا لهم الفتات واحديناهم الأحذية من لحاء الشجر، وأعطينا الجبهة كل الخبز وكل الأحذية.

وإذ ذلك نحتفظ ببتروغراد.

و ما تزال في روسيا موارد هائلة، مادية ومعنوية، لخوض حرب ثورية حقاً. وثمة 99 بالمئة من الاحتمالات أن يمنحنا الألمان هدنة علي الأقل. والحال، أن الحصول الآن علي هدنة، إنما يعني التغلب علي العالم بأسرة.

* * *

إننا، إذ ندرك أن من الضروري إطلاقاً أن يقوم عمال بتروغراد وموسكو بانتفاضة في سبيل إنقاذ الثورة وفي سبيل إنقاذ روسيا من تقاسم " منفرد " بين إمبرياليي الكتلتين، يترتب علينا بادئ الأمر أن نكيف تكتيكنا

السياسي في الاجتماع وفقا لشروط الانتفاضة التي تتصاعد ؛ ومن ثم يترتب علينا أن نثبت أننا لا نكتفي بالموافقة قولا فقط علي فكرة ماركس حول ضرورة اعتبار الانتفاضة فناً.

و علينا، في الاجتماع، منذ البدء، أن نشد من لحمة الكتلة البلشفية، دون الركض وراء العدد، دون الخشية من ترك المترددين في معسكر المترددين : فهناك يكونون أوفر فائدة لقضية الثورة مما لو كانوا في معسكر المكافحين المفعمين بروح الحزم والتفاني.

يترتب علينا أن نضع بيانا موجزا باسم البلاشفة، نشير فيه بأشد ما يكون من الجزم إلي انه ليس من المناسب إلقاء الخطب الطويلة و " الخطب " بوجه عام، إلي انه من الضروري القيام بعمل فوري في سبيل إنقاذ الثورة إلي انه من الضروري إطلاقا إجراء قطيعة تامة مع البرجوازية، وخلع كل الحكومة الحالية خلعاً، وإجراء قطيعة تامة مع الإمبرياليين الانجلو . فرنسيين الذين يهيئون تقاسم روسيا بصورة " منفردة "، إلي انه من الضروري انتقال كل السلطة فوراً إلي الديمقراطية الثورية التي تتأسسها البروليتاريا الثورية.

ينبغي أن يصوغ بياننا، بصورة موجزة قاطعة قدر الامكان، وبالارتباط مع مشاريع برنامجنا، الاستنتاج التالي : السلام للشعوب، الأرض للفلاحين، مصادرة الأرباح الرأسمالية الفاضحة، كبح جماح الرأسماليين الذين يخربون الإنتاج بصورة فاضحة.

و كلما كان هذا البيان موجزا وقاطعا، كان ذلك أحسن، إنما ينبغي فقط أن نشير فيه بكل وضوح إلي نقطتين علي جانب كبير من الأهمية : ان الترددات قد عذبت الشعب إلي أقصى حد، وان تذبذبات الاشتراكيين . الثوريين والمناشقة قد عذبتة تعذيباً، ولذا نقطع نهائيا كل صلة لنا مع هذين الحزبين لانهما خانا الثورة.

النقطة الثانية : اننا، إذ نعرض فورا صلحا بدون الحاقات، وإذ نقطع فورا كل صلة مع الإمبرياليين الحلفاء وجميع الإمبرياليين الآخرين، إنما نحصل فورا علي هدنة، واما علي تبني كل البروليتاريا الثورية وجهة نظر الدفاع وعلي قيام الديمقراطية الثورية، تحت قيادة البروليتاريا الثورية، بحرب عادلة حقا، ثورية حقا.

و بعد تلاوة هذا البيان، بعد الدعوة إلي التقرير لا إلي الكلام، إلي العمل لا إلي تدبيج القرارات، ينبغي علينا أن نوجه كل كتلتنا إلي المعامل والتكنات : فهناك مكانها، هناك عصب الحياة، هناك مصدر خلاص الثورة، هناك محرك الاجتماع الديمقراطي.

هناك، في خطابات حماسية متأججة، ينبغي علينا أن نوضح برنامجنا وأن نطرح المسألة علي النحو التالي : إما قبول الاجتماع هذا البرنامج قبولا تاما، وإما الانتفاضة. وليس ثمة من حل آخر، ويستحيل الانتظار. فالثورة في سبيل الهلاك.

بطرح المسألة علي هذا النحو، وتركيز كل نشاط كتلتنا في المعامل والتكنات، سنعرف كيف نختار اللحظة المناسبة للقيام بالانتفاضة.

و لكي ننظر إلي الانتفاضة نظرة ماركسية، أي لكي نعتبرها فناً، ينبغي علينا، في الوقت نفسه، ألا نضيع أي دقيقة، فننظم هيئة أركان لفصائل الثوار، ونوزع قوانا، ونوجه الأفواج الأمنية نحو أهم النقاط، ونطوق الكسندينا [3]، ونحتل بتروبافلوفكا [4]، ونعتقل هيئة الأركان العامة والحكومة، ونرسل ضد اليونكر [5] والفرقة الوحشية [6] فصائل يستطيع أفرادها التضحية بحياتهم ولا يدعون العدو يمر نحو النقاط الهامة من المدينة. ينبغي علينا أن نعبئ العمال المسلحين، وندعوهم إلي خوض معركة مستميتة أخيرة، ينبغي أن نحتل دفعة واحدة التلغراف والتلفون، وأن نقيم هيئة أركاننا نحن الثورية عند المركز التلفوني، وأن نربطه تلفونيا بجميع المعامل والمصانع، بجميع الأفواج، بجميع النقاط التي سيجري فيها النضال المسلح، الخ...

و طبيعي أن كل ما قيل ما هو إلا من باب الإشارة لكي نبين اننا لا نستطيع، في الفترة التي نمر بها، أن نبقي أمناء للماركسية، أن نبقي أمناء للثورة، إذا لم نعتبر الانتفاضة فناً.

كتب : في 13 - 14 سبتمبر 1917

نشر لأول مرة : عام 1921 في مجلة (بروليتاريسكايا ريفولوتسيا)، العدد 2

المصدر الأصلي : لينين. المؤلفات، الطبعة الروسية الخامسة، المجلد 34

مصدر النسخة العربية : لينين. مختارات، الجزء 3، دار التقدم، موسكو 1968

ترجمة : دار التقدم

نسخ الكتروني : ناصر الخصري

-
- [1] البلاكية، تيار في الحركة الاشتراكية الفرنسية ترأسه الثوري الكبير. وأحد ممثلي الشيوعية الطوبوية الفرنسية البارزين لويس اوغوست بلانكي (1805 - 1881). كان البلاكيون ينتظرون " خلاص البشرية من عبودية العمل المأجور لا عن طريق نضال البروليتاريا الطبقي، بل عن طريق مؤامرة تعدها أقلية غير كبيرة من المثقفين. " (لينين). وإذا استعاض البلاكيون عن نشاط الحزب الثوري بنشاط جماعة سرية من المتأمرين لم يحسبوا الحساب للظرف الواقعي الضروري لانتصار الانتفاض. وأهملوا الارتباط بال جماهير.
 - [2] الاجتماع الديمقراطي لعامة روسيا دعت إلي عقده اللجنة المركزية للسوفييتات التي كان يهيمن فيها المناشفة والاشتراكيون. الثوريون، للبت في مسألة السلطة. انعقد الاجتماع في 13 . 22 ايلول (سبتمبر) 1917 في بتروغراد. اتخذ زعماء المناشفة والاشتراكيين الثوريين جميع التدابير. الرامية إلي تقليل عدد ممثلي جماهير العمال والفلاحين وزيادة عدد ممثلي مختلف المنظمات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة. اشترك البلاشفة في الاجتماع لاستخدامه منبرا لفضح المناشفة والاشتراكيين. الثوريين. قرر الاجتماع الديمقراطي تشكيل البرلمان التمهيدي (مجلس الجمهورية المؤقت) الذي كان له طابع استشاري وكانت هذه محاولة للبرهان زورا علي اقامة النظام البرلماني في روسيا. في 7 (20) تشرين الأول (أكتوبر)، يوم افتتاح البرلمان التمهيدي، تلا البلاشفة بيأهم وانسحبوا من البرلمان التمهيدي.
 - [3] الكسندينكا، مسرح اليكسندرينسكي في بتروغراد، انعقد الاجتماع الديمقراطي.
 - [4] بتروبافلوفكا تقع قلعة بطرس وبولص مقابل قصر الشتاء، علي الضفة الثانية من نهر النيفا. في ظل القيصرية كانوا يزجون فيها بالمعتقلين السياسيين، وكانت تملك ترسانة هائلة، كما كانت نقطة استراتيجية هامة في بتروغراد. في الوقت الحاضر متحف تاريخي.
 - [5] اليونكر، في روسيا القيصرية، تلامذة المدارس العسكرية التي تخرج الضباط.
 - [6] الفرقة الوحشية، اسم فرقة تشكلت ابان الحرب العلمية الأولى 1914 . 1918 من متطوعي الشعوب الجبلية في القفقاس. حاول الجنرال كورنيلوف استغلال " الفرقة الوحشية " كقوة صدام عند الهجوم علي بتروغراد الثائرة.